مقياس: تيارات فكرية كبرى

الدكتور: محمد بومدين-

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- سطيف2.

الوضعية الثانية: التيار المثالي.

الهدف الخاص:

أن يميز الطالب بين النظريات التي ظهرت في التيار المثالي وأهم خصائصه ورواده وأفكاره

الأهداف الإجرائية : الهدف الخاص:

أن يذكر الطالب التيار المثالي وأهم الأفكار التي عرفها هذا الأخير مع التمييز بين أنواع المثالية.

الأهداف الإجرائية :

أن **يعرف** الطالب مضامين الفلسفة المثالية في الحضارة الإغريقية بشكل دقيق

أن **يصف** الطالب أهم الاستشكالات الفلسفية التي عرفها التيار المثالي عبر تطوره بصورة حسنة.

أن **يرتب** جملة المفاهيم الفلسفية التي تمتاز بطابع الصعوبة في فلسفة هيجل وكانط وباركلي على وجه الخصوص بشكل صحيح.

توطئة:

عرف تاريخ الفكر الإنساني العديد من التيارات الفكرية عبر تاريخه الطويل، نذكر على سبيل المثال لا الحصر (**التيار المثالي**) الذي سيكون عنوان محاضرتنا هذه، حيث سيتم التطرق إلى التعريف الخاص بالتيار المثالي مع التطرق وبنوع من الإسهاب والتفصيل إلى مجموع رواده منذ اليونان مع أفلاطون وصولا للفلسفة الحديثة مع ديكارت وباركلي وكانط وهيجل بنوع من

التفصيل والتميز لهؤلاء الفلاسفة نظرا للمكانة الفكرية والتاريخية التي فرضها هؤلاء بانتاجاتهم الغزيرة والمؤطرة عبر سبيل نسقي ومنهاجي حول فكرة (**المثالية**) بالاضافة إلى ممثلين آخرين هم بدورهم من كبار الفلاسفة المثاليين على غرار ،كروتشه،وفيشته وشلينج وبرودون جنتلي، كواريدج، وكارلايل والذين لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً.

فما هو تعريف التيار المثالي؟ وهل المثالية واحدة أم متعددة؟

وما هي الأفكار والآراء التي يقدمها أنصار التيار المثالي؟

- **تعريف التيار المثالي:**

تعرف المثالية idealism في الفلسفة على أنها مذهب يؤمن بأن حقيقة الكون أفكار وصور عقلية، وأن العقل مصدر المعرفة. وان الأفكار فطرية وليست مكتسبة، حيث كانت بداية المثالية كما هو معروف مع أفلاطون في البيئة الإغريقية، إذ أن أفلاطون كان يتصور عالمًا عقليًا قوامه أفكار بمثابة النماذج للموجودات من حولنا والتي هي في عالمنا المحسوس جزئية ومادية، والعالم العقلي هو الحق المطلق، والعالم المحسوس أشبه ما يكون بالظلال.

أولا: أفلاطون رائد المثالية الإلهية في الحضارة الإغريقية: (427- 347).

أفلاطون فيلسوف يوناني من أشهر الفلاسفة الذين عفتهم البشرية عبر تاريخها الطويل، عاش ف القن الرابع قبل الميلاد. اسمه الأصلي أرستوكليس ويلقب بأفلاطون أشهر مؤلفاته الجمهورية والمحاورات التي عرف بها.

- **الفكر المثالي عند أفلاطون:**

يؤمن أفلاطون بوجود عالمين اثنين أحدهما علوي ويسمى بالعالم المثالي والآخر سفلي ويسمى بالعالم الحسي، وأن النفس كانت تعيش في عالم طاهرا مقدسا كانت قد عقلته، ولكنّها أصبحت حبيسة عندما تجسدت في الجسد، وأصبحت رهينة للعالم المادي، وبناءً على ذلك يكون عالم المثل عالم المعرفة الحقة التي لا يشوبها أيّ شك ولا نقص ، والمعرفة الأفلاطونية هي تذكرو استدعاء للمعارف والقيم النبيلة لأن عالم المثال عالم الأخلاق الرفيعة. فالإنسان يتذكّر ما

عرفته نفسه في عالم المثل من قبل ولهذا نجد أفلاطون يقسم النفس إلى ثلاث مراتب متدرجة من الأعلى إلى الأسفل:

- **النفس العاقلة:** وفضيلتها الحكمة ويمثّلها في الدولة طبقة الفلاسفة والحكماء، وهم حكام الجمهوريّة.

- **النفس الغضبية**: وفضيلتها الشجاعة، ويمثلها في الدولة طبقة الجنود والعساكر والحرس

- **النفس الشهوانية**: وفضيلتها العفة، ويمثلها في الدولة طبقة العامة من الحرفيين والعمال. فمادامت النفس جوهرا لا ماديا فهي مستقلة عن العالم الحسي وبيئتها الحقة هي العالم العلوي. وهو عالمها الحقيقي الاصلي الذي منه أتت وإليه ترغب في العودة لتتخلص من ارتباطها بعالم المحسوسات. ما يمنحها صفة الخلود لأنها لا تفنى بفناء الجسد.

وان العالم الحسي بما يصفه أفلاطون بكل صور النقص والعجز والتغير، فهو يدعونا إلى البحث عن العالم الحقيقي الذي لا يعتره نقص والدناسة فهو مقدس ثابت مطلق وهو المكان الذي لا ناله الشر بتاتا". وهو ما يذكره من خلال أسطورة الكهف كما ذكرنا ذلك سلفا.

فالمعرفة الحقيقية بالنسبة لأفلاطون هي تلك المعرفة التي يكون مصدرها عالم المثال، كما أن "الماهية الحقيقية للأشياء الحسية وعلتها صور مفارقة بيئة من المادة لا محسوسة، تدرك بالعقل فقط يسميها الفيلسوف الأفكار والمثل" وبهذا يكون أفلاطون قد خالف دعاة المدرسة السفسطائية في القول بنسبية الأفكار وواقعيتها الذين فتحوا باب اللايقين في القيم. إن النفس وهر روحي في الانسان لقد أغدق الإله عليها من شرفه ووهبها الخلود صفة الإلهية، إذ خلقها من بقايا النفس". وما ترغبه النفس هو تحقيق قيمة العدالة التي من خلالها تصل إلى درجة تحقيق السعادة التي هي اعلى مراتب القيم النبيلة عند افلاطون. ولا يكون ذلك الا بتحركها نحو عالم الكمال الإلهي الذي يخلصها من نقص المادة وعالم الاشياء الزائفة.

ويتطرق أفلاطون للقول بضرورة الاعتماد على التربية فهي القادرة على علاج الفساد والتغيير للأفضل وتبدأ منذ الطفولة، لهذا سميت مثاليته بالمثالية الطوبائية الإلهية. لانها تسعى دوما للارتقاء من العالم السفلي إلى العالم العلوي في شكل جدل صاعدا يحررها من عالم المحسوسات بعدما عاشت جدلها النازل لما تعلقت بالجسد في هذا العالم.

مخطط يوضح ملخص أهم أفكار التيار المثالي لدى اليونان.

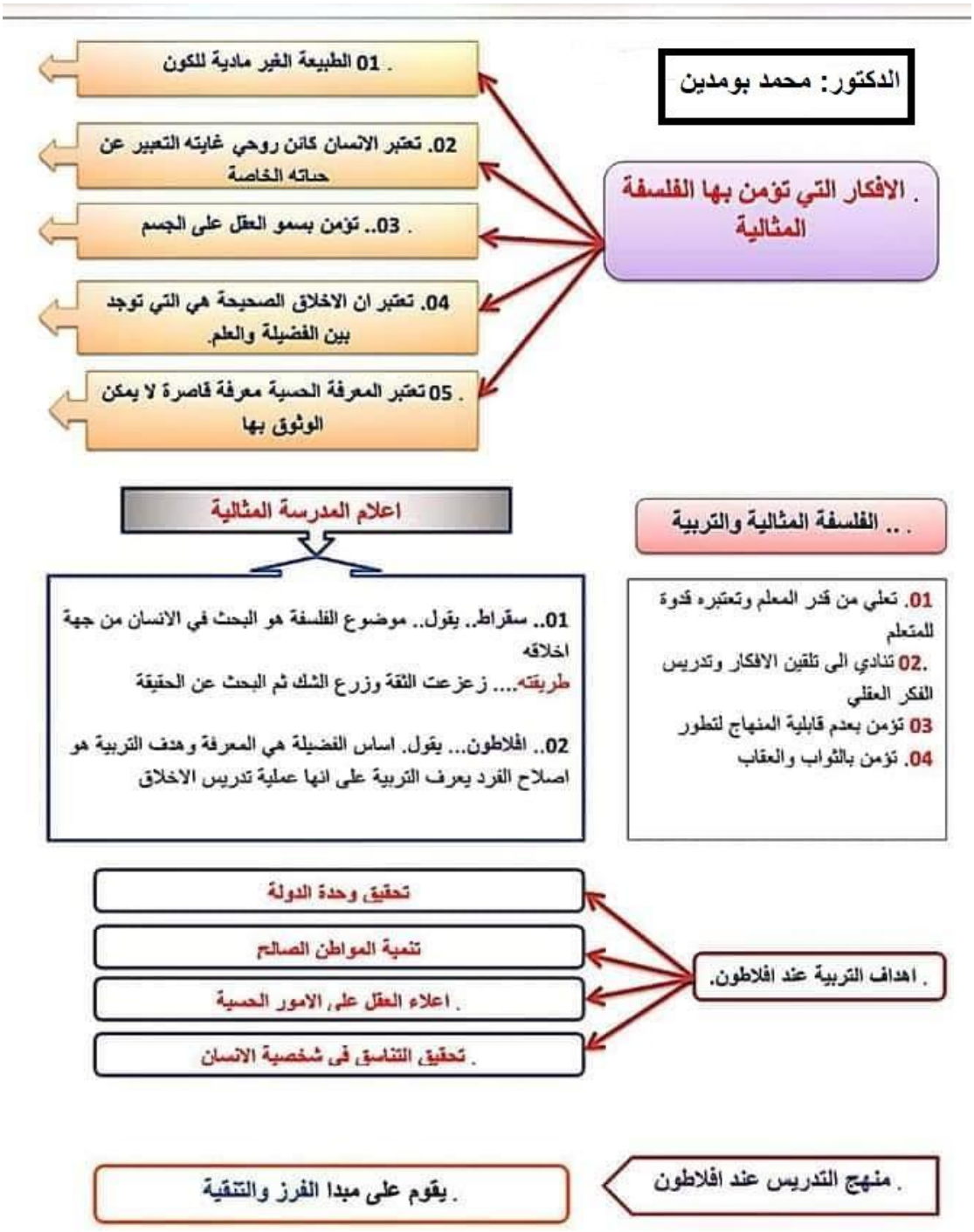

ثانيا: ديكارت: رائد المثالية العقلانية الحديثة: (1569- 1650):

يعتبر ديكارت الفيلسوف الفرنسي من رواد الفلسفة الحديثة التي عرفت تحولات جذرية ومنعطفات غير مسبوقة في تاريخ الفلسفة حينما قام بثورته ضد التدين الكنسي الذي حجب العقل ومنح النص المسيحي القدسية المطلقة. مما أجبر ديكارت للخوض في غمار الإنسان ومحاول إعادة الاعتبار له من خلال القول والايمان بملكة العقل كآلة تخرجه من عالم الأشياء وتدخله إلى عالم الذات الباطنية المتعقلة.

وهذا ما يذكره في كتابه: "مبادئ الفلسفة" حيث اعتمد ديكارت منهج الشك للوصول إلى الحقيقة من خلال مقولته الشهيرة "أنا أشك، أنا لأفكر إذن انا موجود" وهذا ما عرف بالكوجيتو ويفهم من هذه المقولة أن التفكير هو أساس ماهية الإنسان كونه يعتبر كئنا عاقلا مفكرا مميزا بقدسية التفكير حيث يصل بالعقل إلى الحقيقة يعتمد ديكارت منهجاً شكياً يختلف في جوهره عن الشك في الفلسفة اليونانية القديمة او مع شك شيشرون في الحضارة الرومانية. أو الشك كما عفره أبو حامد الغزالي، فهو لا يقبل بالشك لمجرد الشك في الأمور وإنما يؤكد على أن مهمة الشك الرئيسية هي الوصول إلى الحقيقة حيث شك في كل شيء في وجوده وحواسه وحتى عقله ومآله ومصيره من الحياة، حيث عرف على انه رياضي وعالم في مجال البصريات لينتقل إلى الفلسفة لسبب اهتماماته وطبيعته البحثية "التي يرغب من خلالها للوصول على إلى نقطة يقينية." فالشك هو خطوة أساسية في فلسفة ديكارت وأي معرفة لا نبدأ فيها بالشك تعتبر زيف وهذيان.كما يذهب ديكارت للقول بأن الأفكار أساسها عقلاني فطري فهي ليست مستفادة من شيء ولا مركبة بالارادة تستنبطها النفس من ذاتها، وتمتاز هذه الأفكار بانها واضحة جلية بسيطة أولية، كفكرة النفس والله والامتداد وأشكاله والحركة وأنواعها والعدد والزمان وغيرها.

وقد تطرق ديكارت الى ستة تأملات في كتابه "تأملات في الفلسفة الأولى" فالتأمل الأول يتناول فيه "الشك" أما التأمل الثاني يتناول فيه وجود الفكر أو العقل الإنساني، ويميزه عن الجسد ويذهب إلى أن معرفته أيسر وأوضح من معرفة الجسد أما التأمل الثالث فيتطرق فيه إلى "إثبات وجود الإله" وهذا ما يجعل من ديكارت متربعا على عرش الفلسفة المثالية الحديثة فهو يقدم ثلاثة براهين على وجود الإله بينما في التأمل الرابع يميز بين "الصدق والكذب" أو فكرة "الوضوح وعدم الوضوح" حيث يتناول ديكارت هنا بعض موضوعات التأمل الأول والثاني حول العلاقة بين

"النفس والجسد وحول الإله". وفي التأمل الخامس: يتناول ماهية الأشياء المادية، ويقر بأن ماهيتها الامتداد، وأن ماهية الإله الروح والفكر، وتظهر في هذا التأمل ثنائية ديكارت الشهيرة بين الفكر والامتداد وأنهما جوهرين متمايزين. وفي التأمل السادس يتناول وجود الأشياء المادية ويثبت أنها زائلة، ويميز بين النفس والجسد، ويثبت أن الجسد مآله الفناء والنفس خالدة مآلها البقاء..

ثالثا: جورج باركلي رائد المثالية الذاتية: (1753- 1685م.)

هو أسقف ايرلندي تبدأ فلسفته بالروح والعقل. عاش حياته موجها نقده للفلسفة المادية الحسية التي تؤمن بالحواس كمصدر للمعرفة وتفصل الذات المدركة عن الموضوع المدرك وقد تطرق إلى ذلك في كتابه:" مبادئ المعرفة الإنسانية" والذي يصنفه بعض الدارسين لفلسفة باركلي على أنه فيلسوف مثالي متطرف فمثاليته مثالية ذاتية ترى وجود الشيء في إدراكه وأن الأشياء ليس لها وجود مادي مستقل عن الذوات التي تدركه، وهو بهذا قريب من ديكارت في مثاليته المنهجية عندما اعتبر وجود الله هو الأساس في وجود العالم، وما جعلهى ينتقد الفلسفة المادية هي طريق نحو الإلحاد مقابل الإيمان الذي دعى إليه باركلي. وقد تطرق إلى العديد من المفاهيم الفلسفية التي تضمنتها فلسته المثالية وهي: الاسمية، والعلية، واللامادي. مجابها بذلك الانحلال الخلقي والغلو المادي.

وما يميز فلسفة باركلي المثالية هو قوله بأن الأشياء الموجودة في العالم الخارجي انما تتوقف على الذات العارف ويجعل من الذات أساسا لبناء وتفسير ما هو موجود في العالم مرده للذات. ويسميها البعض بالمثالية الخارجية لانها لان تخرج ما هو ذاتي إلى ما هو خارجي

رابعا: امانويل كانط رائد المثالية النقدية: (1724- 1804م) :

يعتبر إيمانويل من رواد الفلسفة الألمانية الحديثة تلقب مثاليته بالمثالية النقدة لأنها قامت على ثلاثيته النقدية الشهيرة التي جاءت كالتالي: ثلاثيته في المثالية، وكان أبرزها: كتاب نقد العقل المحض، ويعد من أصعب الكتب في الفلسفة، تناول فيه قضيّة الله، والعالم والنفس، وأطلق عليها اسم الميتافيزيقا المتعالية (الترسندنتالية) ، وجعل منها مُثلًا هادية، لأنها تهدي العقل إلى المعارف اليقينية والمطلقة

آمن كانط بوجود أفكار فطرية قبلية مسبقة سابقة عن التجربة أو خارجة عن نطاقها وهذا ما يشبه عالم الأفكار عند أفلاطون. وقد عرف بتركيبه بين الذات المدركة والموضوع المدرك واتصال العقل بالحواس لأن الحواس والعقل يلعبان دوراً كبيراً في المعرفة مؤكداً مغالاة الفلاسفة العقلانيين في دور العقل ومبالغة التجريبيين في الوقوف فقط عند تجاربهم الحسية لان الحواس في نظره لا تنال معناها إلا من خلال اتصالها بالعالم الوحي والعقلي.

كما انتهى كانط إلى فكرة جليلة وهي الإيمان والتعالي الأخلاقي وآمن بخلود الروح وبالضمير الحي الذي يوظفه في أغلب فلسفه العملية من حيث الأخلاق والسياسة والاقتصاد. واعتبر الضمير أساس للمعرفة بالإنسانية الأخلاقية ويتلخص ذلك في فكرة الواجب الأخلاقي الذي يجعل من الإنسان يتعالى بذاته إلى مصاف الكمال الأخلاقي وقد ذكر ثلاث مبادئ أساسية في كتابه: "نقد العقل العملي" بان الأخلاق تقوم على: مبدأ التعميم والشمول حيث يقول " افعل بحيث يمكن لمسلمة إرادتك أن تصح دائما، وفي الوقت نفسه مبدأ تشريع عام" أما المبدأ الثاني وهو مبدأ الغائية: حيث يقول "اعمل على نحو تعتبر فيه الإنسانية ماثلة في نفسك وفي الاخرين غاية لا وسيلة" اما المبدأ الثالث: وهو مبدأ الحرية حيث يقول " اعمل على نحو أن تكون أنت مشرع نفسك".

إذن كجواب على السؤال الكانطي الأساسي: كيف نصنع من عود معوج شيئا مستقيما؟ يعول كانط على شرطين أساسين، هما: العمل والأمل. العمل والجد نحو بناء مجتمع الأخلاق، وذلك بالسعي لأن تسود أوامر الله، التي هي من وجهة نظره القوانين الأخلاقية العقلية والأمل في حكمة عليا، سوف يتكلل هذا الجهد بالتمام والكمال والجلال والجمال. وبهذا لا نجده طوباوي حالم كما كان عليه الحال عند أفلاطون بل هو فيلسوف وسطي معتدل.

خامساً: هيجل ومثاليته المطلقة: (1770- 1831):

ثمة تأكيد ثابت من قبل هيجل يخص مدى أهمية الفلسفة، وهذا حينما رأى أن مهمتنا تكمن في انتزاع النوع الإنساني من أسره المحسوس والفردي والمهمش marginalisés حيث يسمو ببصره إلى العلى، حيث النجوم étoiles من دونها يبقى الناس في نظره كالدودversعلى وشك أن يقتنعوا بالماء والغبار. مهمتنا اليوم بتعبير هيجل – هي البحث عن الزمان الذي حظي فيه الناس بسماء مرصعة بكنوز من الفكر والأخيلة والأشعار... "

تقوم المثالية عند هيجل على الفكرة المطلقة، والروح المطلق، وكل ما يقوم به الفرد الإنساني وما يعتمد عليه عالم البشر الحسي، وهو لا يعتقد بوجود حقيقة خارج أو فوق العقل الإنساني، فكل معرفة هي معرفة إنسانية. وان مهمة الفلسفة هي تعقل الأشياء المتجلية في العالم الخارجي. ويعتبر الفلسفة بأنها العلم الأكثر سمواً للعقل فهي مرآة روح العالم. وجاءت كتاباته كرد فعل ضد المثالية الذاتية والتي تؤمن بوجود عقل مطلق في الطبيعة.

إذا عقلنا الواقع فقد يصبح كل شيء من الذات ومن الواقع معقولا، ومن ثم تصبح أيضا كلمة المثاليةيقصد بها هيجل عقلنة الواقع من حيث هو صورة للذات المفكرة والمتأملة، أي جعل كل ما هو واقعي معقولا متأملا، وكل ما هو معقول متأمل واقعي، والوصول إلى توحيد بين ماهو واقعي وما هو عقلاني وذلك لن يتأتى إلا بالانتهاء إلى أن كل شيء معقول. تلك هي المثالية بالمعنى الحقيقي من منظور هيجل.

وقد تطرق في كتابه الثالث لعلم المنطق إلى تحديد معنى الفكرة والفكرة المطلقة، وكيفية تطور الحقيقة الواقعية انطلاقا من الفكرة، ذلك أن الفكرة في نظر هيجل، هي الكلي والشمولي واللانهائي.

بحسب مفهوم هيغل، فإن الحقيقة بدأت أول الأمر فكراً خالصاً، ثم أعلنت عن نفسها في صورة موضوعية، فبعد أن كانت فكرة مجرّدة أصبحت مادة متحركة في مكان وزمان، فالطبيعة مرحلة ضرورية لا بدّ من اجتيازها حتى تبلغ الفكرة مرتبة الإدراك.

هذا الجدول يلخص الأفكار الأساسية لكل فيلسوف في التيار المثالي كما رأينا سالفا:

الفيلسوف	الأفكار الرئيسية
أفلاطون	مفهوم العالم المثالي، نظرية الأشكال، أهمية الفكرة.
هيجل	التطور التاريخي للأفكار، الجدلية بين الفكرة والمادة.
كانط	التركيب بين التجريبية والمثالية، دور العقل في المعرفة
جورج باركلي	"أن تكون هو أن تُدرك"، التركيز على الإدراك الحسي.
فلاسفة العصر الحديث	مثل هيربرت سبنسر، تأكيد على أهمية الأفكار في تشكيل الواقع.

- **خاتمــة:**

في الأخير نستنتج بان التيار المثالي عرف تنوعات عديدة ومختلفة في إطار مضامين وأطوحات الفلاسفة تارة مثالية إلهية وتارة مثالية عقلانية وتارة مثالية ذاتية واقعية وتارة مثالية نقدية وتارة أخرى مثالية جدلية مطلقة، لكن ورغم هذا التنوع إلا أنه لم يأخذ مدلولا سلبيا، بل كان إضافة نوعية للتيار ذاته لأنه وبالرغم من الاختلاف الوارد ضمن كل انواع المثالية إلا أن جميع الفلاسفة اتفقوا حول فكرة جوهرية والمتمثلة في الفكرة والروح المتعالية ضمن عالم المثل والتي تتصف بالقدسية والثبات والكمال والجمال والجلال واليقين، مقابل عالم المحسوسات الذي يوصف بالدناسة والريبة والنسبية والتغير المستمر والفناء.